الأوضاع السياسية في الشمال الاسكتلندي من عام (1426- 1431م)

أ . م . د. ستار حامد عبدالله العماري **م . م . بهاء طراف عبدالله علاوي**

hum.star.hamed@uobyion.edu.iq Bahaaq8q8112244@gmail.com

الملخص :

شهدت المدة بين عام 1426-1431م في الشمال الاسكتلندي أوضاعاً سياسية معقدة ، بسبب الصراع السياسي على السلطة بين الملك جيمس الأول والنبلاء ورؤساء المقاطعات الشمالية ، الذين حاولوا السيطرة على الأجزاء الشمالية والانفراد بالسلطة خارج سيطرة الملك ، إلا أن الملك جيمس الأول أستطاع بعد عودته من إنكلترا عام 1424م ، من كبح النبلاء المتمردين وبعض الاسر الشمالية القوية والمتمثلة بأسرة ماكدونالد الذين يطلق عليهم سادة الجزر ، إذ رأى فيهم الملك الخطر الذي يهدد المملكة وعرشه ، وعلى ضوء ذلك أعتقل الكثير منهم في حملته العسكرية الأول ما بين عامي 1426-1428م وفي مقدمتهم ألكسندر ماكدونالد ، وهذا ما خلق مزيداً من التوتر واعلان التمرد ضد الملك ، بسبب اعتقال زعيمهم مما أدى إلى أطلاق سراح الأخير ، ثم عودة حالة التمرد من جديد عام 1429م التي على أثرها اندلعت معركة لوخابر الشهيرة التي أستطاع الملك في هذه المعركة من السيطرة على الاجزاء الشمالية التي كانت تحت يد ألكسندر ووضعة بالسجن عام 1430م، ليظهر بعده تمرد جديد بزعامة بالوتش الذي قاد تمرداً ضد الملك عام 1431م الذي استطاع من احراز بعض الانتصارات على الجيش الملكي ، لكن بعد التعزيزات العسكرية من قبل الملك أستطاع الملك من القضاء على هذا التمرد وهروب بالوتش إلى ايرلندا .

الكلمات المفتاحية :جيمس الأول ، ألكسندر ماكدونالد ، لوخابر ، بالوتش ، المقاطعات الشمالية .

The Political Situation in Northern Scotland From (1426-1431)

Pro. Dr. Sattar Hamed Abdullah Al Bahaa Taraf Abdullah

hum.star.hamed@uobyion.edu.iq Bahaaq8q8112244@gmail.com

Abstract :

The period between 1426 and 1431 in northern Scotland witnessed complex political conditions due to the power struggle between King James I and the nobles and chieftains of the northern counties. These figures attempted to control the northern regions and seize power independently of the king. However, after returning from England in 1424, King James I managed to suppress the rebellious nobles and some powerful northern families, notably the Macdonalds, also known as the Lords of the Isles. The king perceived them as a threat to the kingdom and his throne. Consequently, he arrested many of them during his first military campaign between 1426 and 1428, including Alexander Macdonald. This created further tension and led to a rebellion against the king, as the arrest of their leader resulted in his release. The rebellion resurfaced in 1429, culminating in the famous Battle of Lochbar. In this battle, the king regained control of the northern territories held by Alexander and imprisoned him in 1430. After that, a new rebellion led by Baloch, who led a rebellion against the king in 1431 AD, and who was able to achieve some victories over the royal army, but after military reinforcements from the king, the king was able to eliminate this rebellion and Baloch fled to Ireland .

المقدمة :

تناول هذا البحث أحداثاً مهمة من حكم الملك جيمس الأول ، من أهمها القضاء على التمردات الشمالية التي تزعمها بعض النبلاء الاقوياء ورؤساء المقاطعات الشمالية ، التي كانت غايتها السيطرة على أغلب الأجزاء الشمالية من البلاد ووضعها تحت سيطرتهم بمعزل عن السلطة الملكية ، ورغم هذه التمردات أستطاع الملك من فرض السيطرة الكاملة على المملكة ، بعدما أستخدم القوة وفرض القانون من خلال القضاء العادل الذي فرض على جميع المملكة ، وبهذا استطاع الملك من السيطرة على العائلات النبيلة التي كانت تتحكم في مقدرات المملكة ، إلا أن الاعتقالات التي أتبعها الملك مع جميع الاشخاص المتمردين ساعدت الملك من فرض السيطرة على الاجزاء الشمالية التي كانت بمعزل عن المملكة .

أولاً : التحركات العسكرية للملك جيمس الأول تجاه المناطق الشمالية بين عامي (1426- 1428م) .

عقد الملك جيمس الأول في اذار عام 1426م برلمانه الثالث ، الذي فيه حصلت الموافقة على مجموعة من القوانين ، فضلاً عن مناقشة القوانين السابقة وجعلها أكثر عدالة وأفضل ما كانت عليه والابقاء على ما هو صالح منها ، وأن يكون طرح القوانين وتدوينها باللغة الاسكتلندية حتى يستطيع المجتمع

معرفتها والتقيد بها ، واصدار الملك قراره الخاص والذي نال موافقة البرلمان بتعين قضاة ذو خبرة واسعة في مجال القضاء في جميع أنحاء المملكة ، أضافة إلى ذلك تشكيل محكمة مركزية عليا في المملكة تجتمع ثلاث مرات في السنة للنظر في مختلف القضايا المهمة ، وتفسير بعض القوانين الغامضة للمجتمع وايضاحها للمجتمع الاسكتلندي بشكل عام [1] .

أما مهنة المحاماة فشهدت هي الأخرى اهتماماً ملحوظاً من قبل الملك والبرلمان أيضاً ، إذ اشترط على من أراد ممارسة تلك المهنة الحصول التعليم القانوني الذي يمكنه من الدفاع عن حقوق الأفراد وتحقيق العدالة ، وأصبح القاضي هو الذي يقوم بتعيين محامي عن الفقراء الذين لا يمتلكون من ذلك الأمر ، في وقت كان فيه أصحاب النفوذ والاموال في حال استدعائهم إلى المحاكم جلبوا معهم الرجال المسلحين بهدف اثارة خوف القاضي منهم [2] .

وفي نفس البرلمان المنعقد لعام 1426م وافق أعضائه على فرض ضريبة جديدة يتم أخذها من الطبقات الثلاث ، فضلاً عن سن قانون من قبل الملك وبموافقة البرلمان ، نص على حضور جميع البارونات والأساقفة إلى البرلمان والامتثال أمامه في حال استدعائهم لأي جلسة برلمانية قادمة [3] .

كانت غاية الملك جيمس الأول من اصدار قانون أعلاه ، حتى تتم الموافقة من قبل البرلمان على فرض الضريبة ، فعدم حضور أعضاء البرلمان بشكل كامل لا يمكن اقرار القوانين الخاصة بالضرائب وغيرها .

وبعد هذه القوانين التي تم سنها في بداية عام 1426م ، كانت خطوة الملك الثانية هي فرض السيطرة على جميع أجزاء المملكة ، بعدما تمكن من تحقيق الاستقرار السياسي على جنوب ووسط البلاد واعدام عائلة ألباني بالكامل باستثناء أبن الوصي مردوخ الصغير الذي تمكن من الهروب إلى ايرلندا ، كذلك أمر الملك بمراقبة العمليات التجارية بين اسكتلندا وايرلندا خوفاً من عودة ابن مردوخ الصغير لداخل البلاد [4] كما أنهُ كان على يقين انهُ في حال ابقاء الوضع السياسي في المناطق الشمالية بيد النبلاء

(1) Charles Rogers , Vol.2 , Op . Cit., P.305.
(2) Francis Watt , Op . Cit., P. 81.
(3) A.A.M . Duncan , James I 1424-1437, University of Glasgow , 1976 , P.13.
(4) Stephen Boardman , The Gaelic and the Early Stewart , Vol.3 , Cromwell press , Edinburgh ,1996, P.109.

الاقوياء الذين كانوا يمتلكون النفوذ والقوة المستلقة عن الملك والمملكة ، هذا سوف يعرض المملكة إلى الخطر السياسي الفعلي ، وتهديد استقرارها [1]

والواقع أن الأوضاع السياسية في أغلب المدن الشمالية هي خارج سيطرة الملك ، ولاسيما وأن فيها من القبائل ذات القوة العسكرية التي بها تمكنت من الاستمرار بالتمرد ضد السلطة وعدم الاعتراف بالقوانين الصادرة ، فضلاً عن أن هذه المدن ضمت الكثير من العصابات المسلحة وقطاعين الطرق الذين كانوا يشكلون تهديداً خطيراً على المملكة وحياة الشعب والممتلكات العامة ، والاكثر من ذلك هو رفض زعماء القبائل دفع الضرائب إلى المملكة بعدما أقرها الملك جيمس الأول لتسديد الفدية لإنكلترا بعد أطلاق سراحه عام 1424م ، إذ كان الزعماء الشماليون يعتقدون أنهم أحرار وليس عليهم سلطة عليا داخل إماراتهم الجبلية فكانت هذه الاسباب وغيرها جعلت الملك أن يتحرك لفرض السيطرة على المدن الشمالية من البلاد بالقوة العسكرية [2] .

ونتيجة لما ذكر اعلاه ادرك الملك جيمس الأول أن استخدام القوة العسكرية هي الحل الوحيد لإخضاع تلك القبائل الشمالية ، والسيطرة عليها لذلك سار في عام 1426م بجيش كبير ضم كبار القادة وبعض البارونات أيضاً صوب الأراضي الشمالية من البلاد [3] .

وهذا بطبيعة الحال جعل مقاومة الملك وجيشه من قبل رؤساء القبائل الشمالية أمراً غير سهل ، إذ استطاع الجيش ومن خلال سلسلة المعارك العسكرية من تحقيق العديد من الانتصارات على تلك القبائل ، وفرض سيطرته على الكثير من القلاع والحصون التي كانت تضم معظم جيوشها ، إذ تمكن بعد فرض حصار على مرتفعات جرامبيان (Grampians) أستمر حتى منتصف عام 1426م من دخول هذه المرتفعات والسيطرة عليها بعد هروب أغلب الرؤساء الشماليين ، وواصل الجيش زحفه نحو مقاطعة إنفرنيس (Inverness) ، وبعد سلسلة من القتال الدامي ، والذي استمر لمدة طويلة قتل فيها الكثير من افراد الجيوش الشمالية ، فضلا عن حرق مزارعهم وبيوتهم بعد رفض الاستسلام ، تمكن في نهاية عام 1427م

---

(1) Francis Watt , Op . Cit., P. 82.

(2) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.215.

(3) Francis Watt , Op . Cit., P. 82.

من دخول تلك المقاطعة والسيطرة على قلعتها بعد انسحاب أغلب رؤساء القبائل منها خوفاً جيوش الملك[1] .

وبعد السيطرة التامة على مقاطعة إنفرنيس ، أمر الملك بعقد جلسة برلمانية استثنائية في الأخيرة لمناقشة الاوضاع السياسية في المناطق الشمالية وكيفية بسط الامن فيها وعودة الحياة إلى طبيعتها ، ثم استدعى أقوى رؤساء قبائل المناطق الشمالية ، ورغم خوفهم من الملك وعدم تمكنهم من الفرار فقد أستجاب أربعين منهم للحضور أمام الملك ، إذ انهم ضنوا بحضورهم أمامه وطاعتهم لهُ سوف يعطيهم الفرصة للنجاة بحياتهم ، وبعد دخولهم قاعة البرلمان تم القبض عليهم وتقيدهم وسجنهم في سجون منفصلة ، ومنع الاتصال بينهم وبين أتباعهم [2] .

وتم تقديمهم إلى المحكمة في أواخر عام 1428م وصدور حكم الاعدام على الكثير منهم ، ولم ينجوا منهم إلا القليل ومن بينهم ألكسندر ماكدونالد (Alexander Macdonald) [3] وثلاثة من أتباعه بعدما تعهدوا بالولاء والطاعة المطلقة ودفع الضرائب المفروضة عليهم للتاج الملكي كل عام ، والالتزام بقرارات الملك التي يتم سنها داخل البرلمان ، وعدم أتخاذ اي قرار او عمل في المقاطعات الشمالية إلا بعد الرجوع للسلطة الملكية والموافقة عليها [4] .

ومن القوانين التي تم تقديمها للبرلمان من قبل الملك في نهاية عام 1428م ، هو موافقة الملك للبارونات وأصحاب الاملاك الكبيرة عدم حضورهم للبرلمان ، شرط أرسال رجلين لتميل كل مقاطعة ، على أن ترفع الأخيرة نفقاتهم وتكاليف تمثيلهم ، ألا أن هذا القانون لم يلق قبولاً شعبياً وتم رفضه من قبل

---

(1) John Mackintosh ,The Story of Scotland , G . P . Putnams Sons London T Fisher Unwin , New York , 1893 , P. 85.

(2) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.215.

(3) ألكسندر ماكدونالد : وهو من النبلاء الاسكتلنديين الكبار واحد الزعماء في المرتفعات الشمالية الاسكتلندية ، أصبح السؤول الأول على المقاطعات الشمالية بعد وفاة والده ماكدونالد عام 1429م ، تمرد على الملك جيمس الأول بعده تكوينه جيش مستقل عن التاج الملكي في الأراضي الشمالية ، وبعد تعهد الملك لهُ بعدم قتله حضر للبرلمان عام 1430م ثم اطلق سراحه ليعود مجدداً ويعلن تمرده على الملك عام 1431م ، مما جعل الملك يتحرك بجيش كبير نحو الاراضي الشمالية ، وبعد ما علم ألكسندر هرب إلى خارج البلاد ولم يعود حتى وفاته عام 1449م . للمزيد يُنظر :
Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., Pp.215-218.

(4) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.216.

البرلمان ، بعدما اتضح أن تطبيقه سوف يقلل من هيبة العمل السياسي واضعاف البارونات وأصحاب الاملاك الكبيرة داخل البرلمان الملكي [1] .

ويمكن القول أن الملك جيمس الأول أراد السيطرة المطلقة على المناطق الشمالية ، بعدما تنامت قوة النبلاء ورؤساء المقاطعات الشمالية وامتناعهم من دفع الضرائب المترتبة عليهم ، وعدم الاعتراف بقرارات السلطة الملكية وقوانين البرلمان التي أرادها الملك أن تطبيق على جميع أجزاء المملكة ، فما كان أمامه غير التدخل العسكري واخضاع رؤساء المقاطعات الشمالية للتاج الملكي .

ثانياً : التمرد العسكري لعام 1429م بزعامة ألكسندر ماكدونالد ضد الملك جيمس الأول .

بعد سيطرة الملك على أغلب أجزاء المقاطعات الشمالية ، واخضاع رؤساء هذه المقاطعات له ، واجبارهم على دفع الضرائب المترتبة عليهم ، قرر بعدها العودة إلى ممتلكاته في الاجزاء الجنوبية والوسطى واقرار بعض القوانين المعطلة في البرلمان على أثر التمردات في الاجزاء الشمالية [2] ، وبعد عودته عمل ألكسندر سيد الجزر على جمع قواته من أجل الهجوم على قلعة إنفرنيس ، والانتقام من السلطة الملكية التي تسببت في قتل عائلة سيد الجزر في معركة هارلاو عام 1411م ، واعدام واعتقال الكثير من اتباع ألكسندر بعد الهجوم على المقاطعات الشمالية [3] .

وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها الملك في الشمال ، والتي راح ضحيتها الكثير من السكان هناك ، وتدمير الكثير من المزارع والبيوت إلا أن الغالبية العظمى من سكان المقاطعات بقيت في ولائها إلى ألكسندر سيد الجزر والوقوف ضد الملك وحاشيته ، إذ كانت اعداد كبيرة من المقاتلين تساند وتؤيد ألكسندر بالهجوم على الأراضي والمقاطعات الشمالية التي تم الاستيلاء عليها من قبل القوات الاسكتلندية التابعة للملك ، إلا إنهُ كان يريد أن يتحرك بالشكل الصحيح لتجنب خسارة الحرب مرة أخرى ، وبهذا أنتظر الفرصة والاستعداد الكامل لبدء الهجوم [4] .

---

[1] Andrew Lang , A Short History of Scotland , William Blackcord Sons Printing House , London , 1911, P.21.
[2] Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.218.
[3] Katie Stevenson , Op . Cit., P.75.
[4] Peter and Fiona Somerset , Op . Cit., P. 101.

لذلك أسرع بجمع جيشة والبالغ تعداده عشرة آلاف مقاتل والتوجه نحو تلك الأراضي بعد سماع عودة الملك إلى العاصمة إدنبره [1] ، فدمر جميع المدن والمقاطعات التي وقعت أمامه ، ثم توجه بعد ذلك بحملته الكبيرة نحو مقاطعة إنفرنيس من أجل السيطرة عليها ، وبعد معارك بين جيشة والجيش الملكي أستطاع ألكسندر من السيطرة على أغلب مدن المقاطعة ودخول قلعة إنفرنيس في الخامس عشر من شباط عام 1429م ، وواصل زحفة تجاه المقاطعات التي كانت تحت سيطرة عائلتهُ قديماً من أجل الحصول على الامتيازات والحقوق الاقطاعية في هذه المقاطعات ، وحرمان الملك منها ومن الاموال التي تدفع أليه ، بعدما قام الملك بفرض الضرائب الكبيرة من أجل دفع الفدية المترتبة عليه لصالح إنكلترا وحل النزاع السياسي بينهما بعد تسديد الاموال المفروضة سنوياً على الملك [2] .

ومن أجل تعزيز نفوذ ألكسندر ماكدونالد العسكري والحصول على الاموال اللازمة ، أرسل بعض الرسائل لأبن مردوخ الصغير الذي هرب من قبضة الملك إلى ايرلندا ، طلب فيها العودة لإسكتلندا من أجل الانتقام من الملك واسترجاع الأراضي التي صادرها الملك من عائلة ألباني بعد رجوعه من الاسر عام 1424م ، إلا أن وفاة أبن مردوخ الصغير حال دون ذلك ، مما جعل ألكسندر أن يطلب العون من انكلترا التي وافقت على ذلك ، لاسيما وأن الملك جيمس الأول لم ينفذ اتفاق عام 1424م بالكامل والذي نص على دفع الفدية على شكل مراحل أي كل سنه ، وهذا بطبيعة الحال اثار مخاوف الأخير فمن الممكن أن تنجح القوات العسكرية التابعة لألكسندر في السيطرة على الكثير من المقاطعات الشمالية بعد تقديم يد العون من قبل انكلترا ، وبهذا سارع الملك إلى عقد اجتماع مع الكثير من النبلاء والقادة العسكرين أنتهى باتخاذ قرار يقضي بتوجيه بقوات عسكرية كبيرة صوب الاجزاء الشمالية للقضاء على تمرد ألكسندر ماكدونالد واتباعه من النبلاء الشماليون [3] .

وبالفعل جهز الملك حملة عسكرية كبرى كانت غالبيتها مقاتلين المقاطعات الجنوبية والوسطى ، وأمر بدفع أموال اضافية للجيش لتعزيز معنوياتهم وقدراتهم القتالية ، ووصلت تلك الحملة إلى بداية الحدود الشمالية في نهاية شهر حزيران من عام 1429م ، وبعد أن علم الملك أن غالبية جيش ألكسندر والبالغ عددهم عشرة الأف مقاتل هم من سكان الجزر الغربية والمقاطعات الشمالية وكانوا في مقاطعة لوخابر

(1) George Buchanan , Vol.2, Op . Cit., P.94.
(2) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.218
(3) Brendan Smith , The English Lordship of Ireland and the Irish Sea World Re – Assessing the Origins of the Kildare Ascendancy C.1390-C.1513, The English Historical Review , Vol.140 , No.602, 2024, P.19.

(Lochaber) ، أصدر أوامره بالتوجه صوب الأخيرة ، وهو عازم على القضاء على اعدائه في هذه الحملة العسكرية وبسط السيطرة الملكية على جميع أجزاء المملكة والعودة إلى العاصمة إدنبرة [1] .

وعلى الرغم من أن جيش الملك أقل بكثير من جيش ألكسندر ، إلا أن الظهور المباغت لهم والقوة والروح المعنوية والاندفاع لديهم جعلت الأخير في حالة من الخوف والرعب فضلاً عن أنه في يوم وقوع المعركة في الخامس وعشرين من تموز عام 1429م انسحبت أقوى واهم القبائل الشمالية وهما قبيلتين تشاتان (Chatan) وكاميرون (Cameron) وانضما بجنودهم واسلحتهم إلى جانب جيش الملك جيمس الأول مما كان لهُ اثر كبير على معنويات ألكسندر وجيوشه ، وبالمقابل زيادة معنويات جيش الملك والتقدم نحو الجهات الشمالية والقضاء على ألكسندر بأسرع وقت [2] .

ويتضح مما تقدم أن سبب انضمام بعض القبائل الشمالية إلى جيش الملك ، هو خوفهم من الملك بمصادرة مقاطعاتهم وممتلكاتهم في حال هزيمة زعيمهم ألكسندر ، وهذا ما حصل في عام 1425م بعد عودة الملك من الاسر ، فقد أعدم وسجن وصادر جميع اراضي وممتلكات عائلة ألباني ولم يبقى منهم أحد غير أبن مردوخ الصغير الذي أستطاع من الهروب إلى ايرلندا بعد تمرده على الملك ، فكان تراجعهم عن محاربة الملك جعلهم يحتفظون بممتلكاتهم والأراضي الخاصة بهم دون غيرهم ، فكانوا متيقنين كل اليقين أن وقوفهم ضد الملك سيعرض حياتهم للخطر في حال عدم مساعدة الملك.

ورغم انسحاب الكثير من جيش ألكسندر إلا انهُ كان مصمم على الحرب ، التي وقعت بالفعل بين الطرفين في الخامس والعشرين من تموز عام 1429م ، وبعد معارك طاحنه أستطاع الملك وجيشه من التقدم نحو مقاطعة لوخابر وحقق فيها انتصاراً كبيراً على أعدائه ، واستولى على جميع القلاع والأراضي التي كانت بيد ألكسندر ماكدونالد ، الذي تمكن من الهروب مع عدد من رجاله وبعض قادة الجيش إلى جزيرة أيسلاي (Islay) [3] .

وبعد مدة وجيزة من مكوث ألكسندر في جزيرة أيسلاي ، فكر في الدخول بمفاوضات مع الملك ، بعدما أصبح في موقف لا يحسد عليه فلم تكن لديه من القوة العسكرية التي تمكنه من مقاومة الأخير ، لذلك أرسل مبعوثاً خاصاً إلى الملك للتفاوض واحلال السلام ، وحل جميع المشاكل العالقة بينهما الأمر الذي أثار غضب الملك جيمس الأول ، باعتقاده أن ألكسندر بمبعوثه هذا أنه يتعامل ليس مع ملك بلاده

---

(1) Katie Stevenson , Op . Cit., P.75- 76.
(2) Charles Rogers , Vol.2 , Op . Cit., Pp.306.
(3) David Kyle Cochrane , Op . Cit., P.113.

وإنما مع ملك آخر لذلك قام بطرد المبعوث ومن معه ، وأمر الجيش بمطاردة ألكسندر والعثور عليه حتى أن يعترف بسلطة الملك المركزية والامتثال أمام القانون [1] .

وبعد أن رفض الملك وبشده في الدخول بمفاوضات مع ألكسندر ، قرر العودة إلى عاصمته إدنبرة ، بعد أن أوصى وأعطى أوامر صارمة لقادة جيشه ببذل كل الجهود لإلقاء القبض على ألكسندر وتسليمة للسلطة الملكية ، وبهذا شعر ألكسندر بصعوبة الهروب من جيش الملك الذي أصبح محاطاً بهُ من كل الجهات ، لذا قرر أن يلجأ إلى رحمة الملك بتسليم نفسه ، إذ سافر سراً إلى إدنبرة التي كان فيها احتفال كبير بظهور الملك وزوجته وحاشيتهما ومحاطين بكثير من النبلاء والحرس في كنيسة هوليرود (Holyrood) ، وفجأةً ظهر أمامهم ألكسندر بائس المظهر بارتدائه قميصاً وسروالاً فقط ، وعليه علامات الحزن والخوف ، فأثنى على ركبتيه أمام الملك متوسلاً به أن يرحمه ويعفو عنه ، إلا أن الأخير أصدر أمراً في السادس والعشرين من آب عام 1429م بحبس ألكسندر في سجن مغلق ومنع أي اتصال معه ، وبعد وساطة الملكة له وكبار نبلاء المملكة ، واعلانه عن الاعتراف بقرارات الملك التي يصدرها داخل البرلمان ، وعدم القيام بأي تمردات عسكرية ضده في المقاطعات الشمالية تم الافراج عنه من السجن من قبل الملك [2] .

ومن أهم ما تميزت به مدة حكم الملك جيمس الأول هو تكرار انعقاد البرلمان ، الذي كان الهدف منه هو جعل النبلاء تحت سلطة القانون والتاج الملكي ، والحد من قوتهم التي جعلتهم يتخذون بعض القرارات الفردية في مقاطعاتهم المنفصلة إلى الحد الذي طغوا فيه على حساب رعيتهم الضعفاء لذلك ادرك الملك بأنه لابد من أضعافهم وكبح جماحهم [3] .

وبهذا وبعد التخلص من ألكسندر ماكدونالد وجعله تحت المراقبة الملكية ، عقد البرلمان وبحضور الملك جلسته في شهر تشرين الأول عام 1429م ، التي أكد فيها وبشكل رئيسي على استقرار الامن وحفظ

(1) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.218 .
(2) Ibid, P.219.
(3) Ibd, P.222.

الأراضي التابعة للتاج الملكي ، ومتابعة جمع الضرائب من المقاطعات الشمالية التي كانت تحت سيطرة ألكسندر ، فضلاً عن معاقبة القضاة وفصلهم في حال اهمال واجباتهم ومهامهم القانونية في المملكة [1] .

كما قرر الملك في البرلمان المنعقد بشهر آذار لعام 1430م ابقاء ألكسندر ماكدونالد في السجن المنفرد بقلعة تانتالون (Tantallon Castle) خوفاً من التفاف أنصاره حوله في المقاطعات الشمالية بعد أطلاق سراحه ، لذلك امر الملك بأن يكون مصيره بيد السلطة الملكية ولا يحق لأحد التدخل في قرار أطلاق سراحه ، وفي نفس البرلمان أمر الملك بمعاقبة المتخلفين عن الخدمة العسكرية وخاصةً الذين كانوا يدفعون الاموال مقابل اعفائهم من تلك الخدمة ، بالمقابل أمر الملك بتوزيع المكافآت النقدية على الكثير من قادة الجيش الذين كان لهم دور في القضاء على التمردات الشمالية ومنها تمرد ألكسندر ماكدونالد الخطير [2] .

وفي ظل هذه الأحداث وتحديداً في السادس عشر من تشرين الأول عام 1430م أنجبت الملكة جوان بوفورت ولدين توأمين سميا الأول ألكسندر الذي توفي وهو طفلاً تاركاً شقيقة الناجي جيمس الثاني(James 11) [3] الوريث الوحيد لجيمس الأول ، إذ أمر الملك بهذه المناسبة اشعال النيران وتوزيع الطعام مجاناً على جميع القادمين للملك ، مع عزف أحلى أنواع آلالات الموسيقية طوال اليوم [4] ، كما منح الطفلين في نفس اليوم بكنيسة هوليرود لقب فارس مع منح بعض المناصب لكثير من النبلاء الكبار في هذا اليوم [5] .

---

[1] Irene Elizabeth O Brien , The Scottish Parliament in the 15 the and 16 the Centuries ,Degree of Ph.D , Department , of Scottish History , University of Glasgow , 1980, P.34.

[2] Michael Brown , The Stuart Dynasty of Scotland James 1 , Op, Cit., P.94.

[3] جيمس الثاني : ولد عام 1430م في العاصمة إدنبرة ، وهو ابن الملك جيمس الأول وامه جوان بوفورت الانكليزية تزوج من السيدة ماري جولديرز (Mary Guelders) وهو في العاشرة من عمرة وانجبت لهُ العديد من الابناء من بينهم الملك جيمس الثالث (James 111) ، أصبح ملكاً على اسكتلندا بعد وفاة والده عام 1437م ، ومنذ تولية الحكم حافظ على النظام السياسي واملاك التاج الملكي التي تم أخذها من بعض النبلاء بعده وفاة والده ، توفي عام 1460م تاركاً المملكة لأبنه جيمس الثالث . للمزيد يُنظر :

Joseph Henry Dahmus , Dictionary of Medieval Civilization , Macmillan Press , New York , 1984 , P.395 ; Patrick Fraser Tytler , Vol. 4, History of Scotland , William B. Nimmo Press , Edinburgh , 1866 , Pp.1-2.

[4] Richard Orme , Op , Cit., P.68.

[5] Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.236.

ثالثا : عودة التمردات في المقاطعات الشمالية عام 1431م ضد الملك جيمس الأول .

بعد نجاح الملك في القضاء على التمردات الشمالية بزعامة ألكسندر ماكدونالد عام 1429م ووضعه في السجن ، أصدر أوامره إلى ألكسندر ستيوارت إيرل مار وعدد من القادة العسكرين بالسيطرة وحفظ الأمن في الأجزاء الشمالية وعدم السماح بحدوث مثل هكذا تمردات ، وفي حال فأنهم سيعرضون نفسهم لعقوبة قانونية [1] .

وعلى الرغم من ذللك إلا أن الكثير من سكان المقاطعات الشمالية التي كانت تتبع ألكسندر ماكدونالد قامت بتقديم فروض الطاعة والولاء لدونالد بالوتش (Donald Baloch) ، أحد الزعامات الشمالية الذي حل محل ألكسندر بعد القبض على الأخير من قبل الملك وزجه في السجن ، إذ قام هؤلاء بتحريض بالوتش بشن حملة عسكرية واسعة ضد الجيش الملكي والأراضي التابعة لهُ ، وهذه غايتها الانتقام من الملك لما عملهُ مع زعيمهم ألكسندر من أعمال عدوانية ، كان آخرها تعذيب الأخير ورميه في سجن منفرد بأحد القلاع الملكية [2] .

وبعد استكمال الاستعدادات العسكرية أصدر بالوتش أوامره بالتحرك تجاه الأراضي والمقاطعات التي كانت تسيطر عليها الجيوش الملكية ، ومنها مقاطعة لوخابر التي كانت تحت سلطة ألكسندر ستيوارت بأمر من الملك جيمس الأول ، وبعد معارك طاحنه أستطاع بالوتش من تحقيق تقدماً نحو الأمام ، والوصول إلى منطقة إنفرلوشي (Inverlucy) الواقعة ضمن مقاطعة لوخابر [3] .

وفيها وتحديداً في منتصف عام 1431م اشتبك الطرفان في معركة لوخابر ، كان فيها الجيش الملكي أكثر انضباطاً بامتلاكه الدروع القوية والفرسان ، وبعض قادة الجيش الكبار ، إلا أن ذلك لم يمكنهم مواجهة السيوف العريضة والفؤوس الحربية لجيش المقاطعات الشمالية التي تمكنت من قتل ست عشر شخصاً من الحرس الشخصي لألكسندر ستيوارت ، والكثير من البارونات والفرسان وتسعمائة وتسعون مقاتل ، وبهذا لم يجد الأخير مخرجاً سوى الانسحاب والعودة إلى المقاطعات الشمالية الخلفية [4]

---

[1] Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.237.

[2] Andy King and David Simpkin , England and Scotland at War C.1296-1513, Press Leiden , Boston , 2012 , Pp.232-233.

[3] Hector Boece , Vol.2 , Op . Cit., P.502.

[4] David Kyle Cochrane , Op . Cit., P.114.

وتذكر المصادر التاريخية سبب انتصار بالوتش على الجيش الملكي ، هو الهجوم المفاجئ ، وانضمام أغلب زعماء القبائل الشمالية لهُ التي مكنته من التقدم ومفاجئة ألكسندر ستيوارت الذي كان حينها يلعب الورق [1] مع كبار قادة الجيش هناك [2] .

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه بالوتش ، إلا أنه لم يواصل تقدمه تجاه المقاطعات الأخرى خوفاً من عودة الجيش الملكي مرة أخرى وهذا ما يعرض قواته للخطر ، لذلك عمل على حرق المدن التي سيطر عليها ، ونهب أكبر قدر من الغنائم التي جمعها من مقاطعة لوخابر والمدن الشمالية الأخرى [3] .

والواقع أن المقاطعات الشمالية لم تكن بعيدة عن حدة التوترات والصراعات السياسية والعسكرية بين القبائل القاطنة هناك ، ففي منتصف شهر أيول عام 1431م حصل نزاع بين أحدى القبائل بزعامة أنجوس دو ماكاي (Angus Du Mackay) وكان لديها عشرة الاف مقاتل ، وقبيلة أخرى كان يترأسها أنجوس موراي (Angus Murray) الذي هو الأخر لديه نفس عدد مقاتلين خصمه حول بعض الأراضي والسلطة هناك ، وتطور الأمر إلى معركة دورمناكوب (Drumnacoub) ، التي وقعت بالقرب من وادي نهر نافير (Naver) بمقاطعة ساذرلاند (Sutherland) وتحديداً بمدينة تونكو (Tongue) أقصى شمال المرتفعات الاسكتلندية [4] ، وكانت هذه المعركة من المعارك الشرسة والوحشية في التاريخ الاسكتلندي ، إذ بلغ عدد القتلى فيها ألف ومائتين مقاتل من الطرفين ، أضافة إلى الخسائر المادية والمتمثلة بحرق الكثير من الحقول الزراعية والبيوت والكنائس بمقاطعة ساذرلاند ، وقتل أيضاً أنجوس موراي ، وبهذا أنتصر أنجوس دو ماكاي وفرض السيطرة التامة على مقاطعة ساذرلاند ، وهذا ما حفز الرغبة لديه في الانفصال عن السلطة الملكية [5] .

---

[1] لعب الورق : وهي من الألعاب التسلية والترفيهية التي ظهرت في أوربا عام 1360 م ، وهي ذات أصول صينية مكونه من أثنان وخمسون ورقة مزخرفة رسم عليها رموز وصور مختلفة ، كانت تلعب في الأسواق وبين النبلاء وفي القصور الملكية . للمزيد يُنظر :

https://share.google/B4bedmkod7kjypbv9.

[2] Michael Brown , The Stuart Dynasty of Scotland James 1 , Op . Cit., P.125.

[3] Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.238.

[4] Gordon Robert , Genealogical History of the Earldom of Sutherland from its Origin to the year 1630 , Printed by George Ramsay and co , Edinburgh , 1813 , P.65.

[5] Gordon Robert , Op . Cit., P. 66.

أدرك الملك جيمس الأول أن تأخره في الرد العسكري على التمردات العسكرية بالمقاطعات الشمالية سوف يخلق فوضى عارمة ، وهذا بطبيعة الحال اعطى ماكاي القوة والشجاعة على التوسع بأكبر قدر ممكن في الأراضي الملكية ، مما جعل الملك يأمر بعقد جلسة طارئة للبرلمان في السادس عشر من تشرين الثاني عام 1431م ، لمناقشة شن حملة عسكرية تجاه المقاطعات الشمالية ، والقضاء على أي تمرد هناك إلا أن ذلك لم يجد تأييداً واضحاً من قبل الكثير البارونات والايرلات والنبلاء الذين رفضوا المشاركة في تلك الحملة [1] ، وهذا ما اثار غضب الملك فأمر بالقبض عليهم ورميهم بالسجن والاعتماد على بقية النبلاء للمشاركة بالقضاء على التمردات بالمقاطعات الشمالية [2] وفي اليوم الثاني من انعقاد البرلمان أمر الملك بدفع بعض الاموال للجنود الذين سوف يشاركون بالحملة العسكرية ، إلا أن جميع الاموال التي جمعت من الضرائب خلال المدة (1424-1429م) تم أنفاقها على بناء القصور الكبيرة ذات الزخارف الملكية الحديثة ، والأثاث ودفع الفدية على الملك إلى إنكلترا ، ولتسديد أموال الجند قام البرلمان بفرض ضرائب اضافية على جميع الأراضي ومن ضمنها الأراضي التي تمتلكها بعض الكنائس الدينية [3] ، وبعد خمسة أيام من جمع الاموال أشترط أعضاء البرلمان بحفظ هذه الاموال عند مدققو الضرائب أو بصندوق ذات أربعة مفاتيح يحتفظ فيه أحد الاساقفة الموثوق بهم ، ولم تسلم هذه الاموال للملك ، وهذا ما اثار غضب الأخير دون أن يحث أي شيء يذكر [4] .

ولاشك أن البرلمان الذي انعقد في السادس عشر من شهر تشرين الثاني عام 1431م كان من أكثر البرلمانات إثارة للمشاكل السياسية ، إذ كان الغاية من هذا البرلمان هو كسب الأموال بواسطة الضرائب المتكررة على الشعب ، والغاية الثانية هي مصادرة بعض ممتلكات النبلاء وبمقدمتهم جون كينيدي (John Kennedy) ، وهي التي ارادها الملك أو حرمانه على الاقل من الميراث الحاصل علية من عائلة آل ستيوارت ، فقد أستطاع الملك من خلال هذا البرلمان جمع الاموال وبطريقة أسرع مما كانت عليه لتغطية نفقات الحملة العسكرية أولاً وتسديد ما علية من الفدية لصالح انكلترا ثانياً [5] .

ويتضح من ذلك أن الطبقات الاجتماعية الاسكتلندية وأعضاء البرلمان لم يكونوا لديهم الثقة المطلقة بملكهم ، أذ سبق وأن الملك قد استخدم أموال الضرائب لمصلحته الشخصية في دفع قسم منها كفدية لصالح انكلترا

(1) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.239.
(2) Michael Brown , The Stuart Dynasty of Scotland James 1 , Op, Cit., P.126.
(3) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.239 .
(4) Keith M . Brown and Others , Op . Cit., P.34.
(5) Roland J . Tanner , Op . Cit., P. 69.

والقسم الثاني تم توزيعها على البيت الملكي ، ولضمان عدم تكرار مثل هكذا أفعال من قبل الملك وضع البرلمان هذه الشروط لحفظ أموال الضرائب وصرفها في المكان المناسب .

وعلى الرغم من غضب الملك إلا أنهُ لم يحرك ساكن ، وهذا ربما لا يفسر ضعف الملك أو خوفه من البرلمان ، أنما قد يكون من ادراكه أن أي عمل ضد أعضاء البرلمان قد يؤدي إلى اثارة حفيظة الرأي العام لذلك فضل السيطرة على غضبه للتفرغ والسيطرة على المقاطعات الشمالية من البلاد .

وبعد استكمال الاستعدادات العسكرية تحرك الملك جيمس الأول بجيشه الكبير نحو المقاطعات الشمالية ، قاصداً مقاطعة لوخابر التي سيطر عليها بالوتش في بداية عام 1431م وبعض المدن الاخرى ، وبعد معارك بين الطرفين أستطاع الملك وجيشه السيطرة على لوخابر ودالخول إلى قلعة دونستافنينش (Dunstaffnagec) وفرض السيطرة عليها [1] .

أما بالوتش فتمكن من الهروب إلى الجزر الغربية ومعه من الكثير القراصنة وقطاعين الطرق ، مما جعل الملك وجيشه أن يتوجه إلى هناك من أجل الانتقام منه ورفاقه ، وحال الوصول للجزر الغربية وجد الملك نفسه محاطاً بحشود كبيرة من أمراء الجزر متوسلين به للعفو عنهم ، وألقوا اللوم كلهُ على دونالد بالوتش الذي أمرهم بالتمرد ضده ، ومن أجل العفو عنهم تمكنوا من تقديم ثلاثمائة من قطاعين الطرق والقراصنة والعصابات التي هددت المقاطعات الشمالية ، وحال تسليمهم للملك أمر بإعدامهم على الفور [2] ، وبإعدام هؤلاء المتمردين أستطاع الملك من تعزيز سيطرته الملكية في الجزر الغربية والمرتفعات الشمالية من البلاد [3] .

وبعد وصول تلك الأخبار إلى مسامع بالوتش هرب إلى أيرلندا ، إلا أن أحد الامراء في الشمال الايرلندي أستطاع من ابرام اتفاق سري مع الملك جيمس الأول ، بموجبه تم القبض على بالوتش ورمية في السجن ، وبعد مدة وجيزة من ذلك تم قطع رأس الأخير وأرساله إلى الملك جيمس الأول ، الذي كان

---

(1) Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.239.

(2) Ibid , P. 239.

(3) Jeremy Black , History of the British Isles , Palgrave Macmillan Press , New York , 2003, P. 80.

ينوي استخدام القوة العسكرية على الشمال الايرلندي في حال بقائهم بتقديم العون والمساعدات العسكرية للمتمردين الاسكتلنديين في الشمال [1] .

أما ألكسندر ماكدونالد الذي تم سجنه من قبل الملك عام 1429م على آثر قيامة بتمردات ضد الملك ، فقد أطلق سراحه في نهاية عام 1431م بناءً على طلب الملكة جوان بوفورت ومعه الإيرلات والبارونات والنبلاء وبمقدمتهم جون كينيدي الذين رفضوا المشاركة بالحملة العسكرية الاخيرة للملك ضد المقاطعات الشمالية [2] .

ويتضح مما تقدم كان هدف الملك جيمس الأول من هذا العفو عن أهم الشخصيات المعارضة ، هو المحافظة على الوضع السياسي الداخلي من المعارضة المتكررة ، إذ أن استمرار مثل هكذا أعمال سوف يولد انعدام الثقة بين الملك والنبلاء والبارونات والشعب ، فقد أراد كسب ود هؤلاء من خلال هذا العفو .

,وخلال المدة من عام 1424م وحتى عام 1431م استطاع الملك من التخلص من عائلة ألباني وزعمائهم ، وكذلك القضاء على التمردات الشمالية ، وهذا انعكس على نجاحهِ سياسياً في أدارة البلاد واصدار بعض القرارات التي مكنته من فرض الهيمنة والقوة ، واتباع سياسة الترهيب والقوة بدل سياسة المفاوضات مع أعدائه ، كما عمل على أخذ الكثير من الأراضي ومصادرتها وهذا بطبيعة الحال جعل للملك أعداء من النبلاء المقربين منه ، أما سبب التمردات المستمرة في الأجزاء الشمالية ، كانت بدرجة الأولى الضرائب الكبيرة التي فرضت وبشكل متزايد على هذه المناطق ، مما آثر سياسياً على أدارة الملك وجعلته يواجه معارضة مستمرة في البلاد ، أما السبب الثاني وهو لا يقل أهمية عن السبب الأول الموقع الجغرافي ، فبعد المناطق الشمالية عن السلطة الملكية كان لهُ آثر في السيطرة ومراقبة رؤساء هذه المقاطعات في التصرف بالشؤون السياسية خارج سيطرة الملك ، وهذا بطبيعة الحال ولد سلطة ثانية في البلاد من غير سلطة الملك .

الاستنتاجات :-

[1] Patrick Fraser Tytler , Vol.3, Op . Cit., P.240 .
[2] Michael Brown , The Stuart Dynasty of Scotland James 1 , Op, Cit., P.127.

1- شهدت اسكتلندا خلال هذه المدة مرحلة خطيرة في الوضع السياسي الداخلي بعده عودة الملك جيمس الأول ، إذ كان الوضع السياسي في الشمال الاسكتلندي بيد مجموعة من رؤساء المقاطعات الشمالية وبعض النبلاء الاقوياء المسيطرين على أغلب الأراضي الشمالية .

2- لم يكن الشمال الاسكتلندي خلال المدة تحت السيطرة الفعلية للملك ، فكانت قوة الملك ضعيفة في بداية حكمها الفعلي .

3- كان هدف الملك جيمس الأول خلال هذه المدة هو اخضاع القوى السياسية المسيطرة على الاجزاء الشمالية بالقوة وفرض سيطرته على جميع اجزاء المملكة .

4- كانت هذه المرحلة بمثابة الصراع المباشر ما بين قوة الملك الذي أراد فرض قوة الدولة المركزية وبعض رؤساء المقاطعات الشمالية الساعية بالانفراد بالسلطة وتكوين نفوذ سياسي خارج سلطة الملك في الاجزاء الشمالية.

5- رغم خسارة الملك في بعض المعارك الشمالية ، إلا انه أستطاع في نهاية المطاف من السيطرة على الاجزاء الشمالية واخضاع اغلب رؤساء المقاطعات الشمالية بالقوة ، واعادة توازن المملكة وهيبتها الحقيقية التي كانت غائبه قبل هذه المرحلة .

المصادر :

1. A.A.M . Duncan , James I 1424-1437, University of Glasgow , 1976 , P.13.
2. Andrew Lang , A Short History of Scotland , William Blackcord Sons Printing House , London , 1911.
3. Andy King and David Simpkin , England and Scotland at War C.1296-1513, Press Leiden , Boston , 2012 .
4. Brendan Smith , The English Lordship of Ireland and the Irish Sea World Re – Assessing the Origins of the Kildare Ascendancy C.1390-C.1513, The English Historical Review , Vol.140 , No.602, 2024.
5. Gordon Robert , Genealogical History of the Earldom of Sutherland from its Origin to the year 1630 , Printed by George Ramsay and co , Edinburgh , 1813 .
6. Irene Elizabeth O Brien , The Scottish Parliament in the 15 the and 16 the Centuries ,Degree of Ph.D , Department , of Scottish History , University of Glasgow , 1980.

7. Jeremy Black , History of the British Isles , Palgrave Macmillan Press , New York , 2003.
8. John Mackintosh ,The Story of Scotland , G . P . Putnams Sons London T Fisher Unwin , New York , 1893 .
9. Joseph Henry Dahmus , Dictionary of Medieval Civilization , Macmillan Press , New York , 1984 .
10. Patrick Fraser Tytler , Vol. 4, History of Scotland , William B. Nimmo Press , Edinburgh , 1866 .
11. Stephen Boardman , The Gaelic and the Early Stewart , Vol.3 , Cromwell press.